

مناظرةُ السيفِ والقلمِ

لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة 749هـ

للشيخ المجاهد المطارد في بلاد الحرمين أبو جندل
الأزدي حفظه الله

بتاريخ 9/10/1424هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمَّا كَانَ السِّيفُ وَالْقَلَمُ عُذَّتِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ ، وَعُذَّتِي
الدُّوَلِ ، فَإِنْ عَدِمْتَهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ ، وَرُكْنِي إِسْنَادِ
المُلْكِ المَعْرَبَيْنِ عَنِ المَخْفُوضِ وَالمَرْفُوعِ ، وَمُقَدِّمَتِي
نتيجة الجدل الصادر عنهما المحمول والموضوع فكثرت
أيهما أعظمُ فخراً وأعلى قدراً فجلستُ لهما مجلسَ
الحُكْمِ والفتوى ، ومثلتُهما في الفكرِ حَاضِرَيْنِ للدعوى ،
وسويتُ بين الخصمين في الإكْرَامِ ، واستنطقتُ لسانَ
حَالِهِمَا للكلامِ

فقال القلم :-

بسم الله مجريها ومُزْسَاهَا، والنهار إذا جَلَّأَهَا والليل إذا
يغشَاهَا ، أما بعد حمد الله
خالق القلم ، ومشرفة بالقسم ، وجاعله أول ما خلق ،
جَمَلِ الورق بغصنه كما جَمَلِ الغصنِ
الورق ، والصلاة على القائل : " جفت الأقلامُ " ، فإن
للِقلم قَصَبُ السِّبَاقِ ، والكاتبُ بسبعة أقلام من طبقات
الكتاب في السبع الطباقي ، جَرَى بالقضاء والقدر ، وَتَابَ
عن اللسان فيما نهى وأمر ، وطالما أربى على البيض
والسُّمْرِ في ضرابها وطعانها ، وقاتل في البعد
والصوارم في القُرْبِ ملء أجفانها ، وماذا يُشْبِهُ القلم

في طاعة ناسه ؟ ومشيه لهم على أم راسه ؟

قال السيف :-

بسم الله الخافض الرافع ، وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع ، أما بعد حمد الله الذي أنزل آيةَ السيفِ فعظّمَ بها حرمةَ الجرحِ وآمنَ خيفةَ الخيفِ ، والصلاة على الذي نفذَ بالسيفِ سطورَ الطروسِ ، وخدمته الأقيامَ ماشية على الرءوسِ ، وعلى آله وصحبه الذين أزهقتُ سيوفهم ، وبُنيتُ بها على كسر الأعداءِ حروفهم ، فإن السيفَ عظيمَ الدولة شديدَ الصّولة ، محاسنُ أسطارِ البلاغة ، وأساعٍ ممنوعِ الإِساعة ، من اعتمد على غيره في قهر الأعداءِ تعب ، وكيف لا وفي حده الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ ؟! فإن كان القلمُ شاهداً ، فالسيفُ قاضٍ ، وإن اقتربت مجادلتَه بأمرٍ مستقبلٍ قطعهُ السيفُ بفعلٍ ماضٍ ، به ظهرَ الدينُ ، وهو العُدّة لقمع المعتدين ، حَمَلْتُهُ دونَ القلمِ يدَ نبيّنا ، فَشُرِفَ بذلك في الأممِ شرفاً بيّناً ، الجنة تحت ظلّاله ، ولا سيما حين يُسَلُّ فترى وَدَقَ الدمَ يخرج من خلاله ، زُينت بزينة الكواكبِ سماءَ غمّدة ، وصدّق من قال "السيفُ أصدّقُ أنباءٍ من ضده " لا يعبُثُ به الحاملُ ، ولا يتناولُه كالقلمِ بأطرافِ الأناملِ ، ما هو كالقلمِ المُشَبَّه بقومٍ عزُّوا عن لبوسهم ، ثم نُكسوا كما قيل على رُءوسهم ، فكان السيفُ خُلِقَ من ماءٍ دافقٍ ، أو كوكبٍ راشقٍ مقدرًا في السَّرْدِ ، فهو الجواهرُ القَرْدُ ، لا يُشترى كالقلمِ بثمنِ بخسٍ ، ولا يبلى كما يبلى القلمُ بسوادِ وطمسٍ ، كم لقائمه المنتظر ، من أثرٍ في عينٍ أو عينٍ في أثرٍ ، فهو في جرابِ القومِ قِوَامُ الحربِ ، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب .

فقال القلم :-

أَوْمَنْ يُتَشَأُ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مُبينٍ ، يُفَاخِرُ وهو القائمُ عن الشمالِ ، وأنا الجالس على اليمين؟! أنا المخصوصُ بالرأيِ وأنت المخصوصُ بالصّدَى ، أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى ، ما لِنْتُ إلا بعد

دخول السعير ، وما حُدِّبَتْ إلا عن ذنب كبير ، أنت تنفع
في العمر ساعة ، وأنا أفني العُمَرَ في الطاعة ، أنت
للرَّهَب ، وأنا للرَّعَب ، وإذا كان بَصْرُكَ حديداً فبصري ماءٌ
ذهب ، أين تقليدُكَ من اجتهادي ، وأين نجاسة دمك من
تطهير مِدادي ؟

قال السيف :-

أمثلك يُعَيِّرُ مثلي بالدماء؟! فطالما أمرتُ بعض فراخي -
وهي السكين - فأصبحت من النفاثات في العقد يا
مسكين ، فأخَلْتُ من الحياة جُثمانك ، وشقَّتْ أنفك
وقطعت لسانك .

ويلك ! إن كنت للديوان فحاسبُ مهموم ، أو للإنشاء
فخادمٌ لمخدوم ، أو للتبليغ فساحر مذموم ، أو للفقير
فناقص في المعلوم ، أو للشاعر فسائل محروم ، أو
للشاهد فخائف مسموم ، أو للمعلم فللحيِّ القيوم أما
أنا فلي الوجه الأزهر والحلية والجوهر والهيبة إذ أشهر
، والصعود على المنبر . ثم إني مملوك كمالك ، فإنك
كناسك ، أسلك الطريق واقطع العلائق .

فقال القلم :-

أما أنا فأبن ماء السماء ، وأليف الغدير وحليف الهواء ،
أما أنت فأبن النار والدخان وناثر الأعمار وحوّان
الإخوان تفصل ما لا يُفصل وتقطع ما أمر الله به أن
يُوصَل ، لا جرم أن صَعَّرَ السيف خده وصقل قفاه ،
وسُقِّي ماءً حميماً فَقَطَعَ مِعَاه ، يا عَرَابَ البين ، ويا عُدَّةَ
الخين ، ويا مُعْتَلَّ العين ، ويا ذا الوجهين ، كم أفنيت
وأعدمت ؟ وأرملت وأيْتَمْتُ ؟

قال السيف :-

يا ابن الطين ! ألسنت ضامراً وأنت بطين؟! كم جَرَّيت
بعكس وتصرَّفت في مكس وزوَّرت وجرَّفت ، ونكرت
وعرَّفت ، وسَطَّرت هجواً وشتماً ، وخلدت عاراً وذمماً ،
أبشر بفرط رَوْعتك ، وشدة خيفتك ، إذا قِسْتَ بياض

صحيفتي بسواد صحيفتك ، فألن خطابك فأنت قصير
المدة ، وأحسن جوابك فعندي جدّه ، وأقلل من غلظتك ،
وجبهك ، واشتغل عن دم في وجهي بقبيح في وجهك ،
وإلا فأدنى ضربة مني تروم أرومتك ، فتستأصلك
وتجتث جرثومتك ، فسقياً لمن غاب لك عن غابك ،
ورعياً لمن لو أهاب بك لسلخ إهابك .

**فلما رأى القلمُ السيفَ قد احتد ، ألان له من خطابه ما
اشتد وقال :-**

أما الأدب فيؤخذ عني ، وأما اللطف فيكتسب مني ، فإن
لنت لنت ، وإن أحسنت أحسنت ، نحن أهل السمع
والطاعة ، ولهذا نجم في الدواة الواحدة منّا جماعة ،
وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لا يجمعون بين
سيفين في غلاف .

قال السيف :-

أمكراً ودعوى عفة ؟ لأمر ما جدع قصير أنفه ! لو كنت
كما زعمت ذا أدب ، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب
، أنا ذو الصيت والصوت ، وعراري لسان مشرفي يرتجل
غرائب الموت ، أنا من مارج من نار ، والقلم من
صلصال كالفخار ، وإذا زعم القلم أنه مثلي ، أمرت من
يدق رأسه بنعلي .

فقال القلم :-

صه فصاحب السيف بلا سعادة ، كأعزل .

قال السيف :-

مه فقلّم البليغ بغير حظ مغزل .

فقال القلم :-

أنا أركى وأطهر .

قال السيف :-

أنا أبهى وأبهر .

فتلا ذو القلم لقلمه :-

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر:1) .

وتلا صاحب السيف لسيفه :-

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر:2) .

فتلا ذو القلم لقلمه :-

(إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (الكوثر:3) .

قال :-

أما وكتابي المسطور ، وبيتي المعمور ، والتوراة
والإنجيل ، والقرآن ذو التجيل ، إن لم تكف عني غزبك
، وتبعد مني قُربك ، لأكتبك من الصُّمِّ والبُكم ،
ولأسطرنَّ عليك بِقلمي سجلاً بهذا الحكم .

قال السيف :-

أما ومثني المتين ، وفتحي المُبين ، ولسائِي الرطبين ،
ووجهِي الصُّلبين ، إن لم تُغِبْ عن بياضي بسوادك ،
لأمسنَّ وجهك بمدادك ، ولقد كسبت من الأسد في

الغابة ، توقيع العين والصلابة ، مع أني ما ألوثك نصحاً
أفنزرب عنكم الذكر صفحاً ؟

قال القلم :-

سَلِّمْ إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ ،
وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ ، أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ ، أَوْ
كُنْتَ أَطْرَى فَأَنَا أَطْرُبُ ، أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلِبُ ، أَوْ
كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا أَعْتَبُ ، أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضُبُ .

قال السيف :-

كَيْفَ لَا أَفْضُلُكَ ، وَالْمَقْرُّ الْفُلَانِيُّ شَاؤُ أَرْزِي .

قال القلم :-

كَيْفَ لَا أَفْضُلُكَ وَهُوَ (عَزَّ نَصْرُهُ) وَلِي أَمْرِي ؟

قال الحَكْمُ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ :

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَجَّتَيْنِ نَاهِضَتَيْنِ ، وَالْبَيْتَيْنِ بَيْنَتَيْنِ ،
مُتَعَارِضَتَيْنِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَسَبَةً صَحِيحَةً ،
إِلَى هَذَا الْمَقْرِّ الْكَرِيمِ ، وَرَوَايَةٌ مُسْنَدَةٌ عَنْ حَدِيثِهِ الْقَدِيمِ ،
لَطَفْتُ الْوَسِيلَةَ ، وَدَقَّقْتُ الْحِيلَةَ حَتَّى رَدَدْتُ الْقَلَمَ إِلَى
كَتْفِهِ ، وَأَغْمَدْتُ السِّيفَ فَنَامَ مَلءَ جَفْنِهِ ، وَأَخْرَجْتُ بَيْنَهُمَا
الْتَرَجِيحَ وَسَكَّتْ عَمَّا هُوَ عِنْدِي الصَّحِيحُ ، إِلَى أَنْ يَحْكُمَ
الْمَقْرُّ بَيْنَهُمَا بِعَلْمِهِ ، وَيَسْكُنُ سُورَةَ غَضِبَهُمَا الْوَافِرَ
وَلِجَاهَهُمَا الْمَدِيدَ بِبَسْطِ حَلْمِهِ .

قال أبو جندل الأزدي:

بعد هذه المناظرة الرائعة المثيرة تأملت التاريخ

الإسلامي فوجدتُ أن الذي يرفعُ القلمَ دونَ سيفٍ يذلُّ ،
والذي يرفعُ السيفَ دونَ قلمٍ يضلُّ ويزلُّ ، ومن
يرفعهما معاً فالى مبتغاه يهتدي ويصل ، ورحم الله
شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال: (لا يقوم الدين إلا بكتابٍ
يهدي وسيفٍ ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً) .

والله أكبر والعزة لله وللإسلام
اللهم انصر المجاهدين الموحدين في كل مكان
اللهم احفظ إخواننا المجاهدين المطاردين في كل
مكان
اللهم فك أسرانا وأسرى المسلمين في كل مكان
اللهم دمر أمريكا والصليبيين واليهود وطواغيت العرب
والعجم في كل مكان